

# كيف نعرف الإمام؟

بقلم: السيد حسين نجيب محمد

## طرق التعرف إلى المعصوم:

بما أن الإمامة بمثابة النبوة فإن هناك طرفاً مشتركة للتعرف عليهما، وأهم هذه الطرق:

**الأول: النص من الله تعالى ورسوله:** فإن مقام الإمامة كمقام النبوة فكما أن الله تعالى هو الذي يصطفي ويجتبي من عباده من يشاء فيجعلهم رسله وأنبياءه، كذلك الحال في أوليائه وخلفائه.

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن الاختيار يعود إلى الله تعالى وحده، ولذا يقول تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، أو يقول: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً﴾ [النساء: ٧٣]<sup>(١)</sup>.

ثم إن الناس - مهما بلغوا من العلم والمعرفة - لا يستطيعون أن يعرفوا من يستحق الإمامة، لما ذكرنا من الأوصاف الباطنية للإمام، والتي لا يطلع عليها إلا علماء الغيوب الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.

فعن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «إن الإمامة أجلّ قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بأرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم...»<sup>(٢)</sup>.

يروى أنه عندما أتى رئيس قبيلة بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في موسم الحج قال له: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال صلى الله عليه وآله: «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء» وهو مفاد قوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]<sup>(٣)</sup>.

هذا وقد جاءت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية المتواترة التي تعين الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وتسميهم بأسمائهم واحداً بعد واحد، ومن ذلك آية «الولاية»، و«المباهلة»، و«إكمال الدين»، و«التطهير»، و«الأمان من الاختلاف» و«الكساء»، و«الدار»، و«المنزلة»، وغيرها من الأحاديث.

ثم إن الإمام الذي عين مَن قبله كان يُوصي لمن بعده بأمر من الله تعالى، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «ما مات عالم حتى يعلمه الله صلى الله عليه وآله إلى من يوصي»<sup>(٤)</sup>.

وعنه عليه السلام أنه قال: «أترون أن الموصي منّا يوصى إلى من يريد؟ لا والله، ولكنه عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى رجل فرجل حتى ينتهي الأمر إلى صاحبه»<sup>(٥)</sup>.

ولهذا نجد في النصوص أن الأئمة عليهم السلام كانوا يذكرون قبل وفاتهم من ينوب عنهم، وللوقوف على تلك النصوص يراجع المجلد الأول من كتاب الكافي.

**الثاني: المعجزات والكرامات:** التي تصدر ممن يدعي الإمامة، فإن الله تعالى لا يمنح هذه الكرامة إلا للمصطفين من أوليائه المخلصين، فكما أنه تعالى قد أعطى الأنبياء معجزات متنوعة تختلف باختلاف الزمان والأقوام فإنه أعطى الأئمة عليهم السلام مثل ذلك.

وقد سئل الإمام الرضا عليه السلام: «بأي شيء تصح الإمامة لمدعيها؟ فقال عليه السلام: بالنص والدليل. فقيل: فدلالة الإمام ما هي؟ فقال: في العلم واستجابة الدعوة».

وللوقوف على معجزات الأئمة عليهم السلام راجع كتاب «إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات» للحرّ العاملي.

**الثالث: أفضلية الإمام عليه السلام على أهل زمانه:** وهذه الطريقة تتناسب مع أهل العقول، وإلا فالغالب في إثبات الإمام هو الرجوع إلى النصوص والكرامات، وإليه يشير الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «قال أمير المؤمنين: اعرفوا الله بالله، والرسول بالرسالة، وأولي الأمر بالمعروف والعدل والإحسان»<sup>(٦)</sup>.

ولذلك عندما كان الإمام عليه السلام يذكر أحقيته بالإمامة كان يذكر إلى جانب النصوص أفضليته على غيره فيقول: «...أما والله لقد تقمّصها فلان، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي، ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إليّ الطير».

ويقول: «ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أنّي لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة، ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص

فيها الأبطال وتتأخر الأقدام نجدة أكرمني الله بها، ولقد قبض رسول الله وإن رأسه لعلى صدري، ولقد سألت نفسه في كفي فأمررتها على وجهي، ولقد ولّيت غسله والملائكة أعواني فضجت الدار والأقنية، ملأ يهبط وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هينمة منهم يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه، فمن ذا أحق به مني حياً وميتاً»<sup>(٧)</sup>.

وعندما كان الأئمة عليهم السلام يذكرون صفات الإمام كانوا يركزون على هذا الجانب، وكمثال على ذلك نجد أن الإمام الصادق عليه السلام عندما يشير إلى ولده الكاظم عليه السلام يقول: «... فعنده علم الحكمة، والفهم، والسخاء، والمعرفة، وما يحتاج الناس إليه فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم، وفيه حسن الخلق، وحسن الجوار، وهو باب من أبواب الله»<sup>(٨)</sup>.

وفي حديث جامع لمعرفة الإمام جاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «عشر خصال من صفات الإمام: العصمة، والنصوص. وأن يكون أعلم الناس، وأتقاهم، وأعلمهم بكتاب الله، وأن يكون صاحب الوصية الظاهرة، ويكون له المعجز والدليل، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ولا يكون له فيء، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه»<sup>(٩)</sup>.

وعن علي بن الحسن بن فضال، عن أبيه، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: «للإمام علامات: يكون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأتقى الناس، وأحلم الناس، وأشجع الناس، وأسخر الناس، وأعبد الناس، ويولد مختوناً ويكون مطهراً، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه، ولا يكون له ظل».

وإذا وقع إلى الأرض من بطن أمه وقع على راحتيه، رافعاً صوته بالشهادتين، ولا يحتلم، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ويكون محدثاً، ويستوي عليه درع رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يرى له بول ولا غائط، لأن الله صلى الله عليه وآله قد وكل الأرض بابتلاع ما يخرج منه.

وتكون رائحته أطيب<sup>(١٠)</sup> من رائحة المسك، ويكون أولى بالناس منهم بأنفسهم، وأشفق عليهم من آبائهم وأمهاتهم، ويكون أشد الناس تواضعاً لله صلى الله عليه وآله، ويكون أخذ الناس بما يأمره به، وأكف الناس عما ينهى عنه، ويكون دعاؤه مستجاباً حتى أنه لو دعا على صخرة لانشققت بنصفين. ويكون عنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه ذو الفقار، وتكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعتهم إلى يوم القيامة، وصحيفة فيها أسماء أعدائهم إلى يوم القيامة.

وتكون عنده الجامعة وهي صحيفة طولها سبعون ذراعاً، فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم، ويكون عنده الجفر الأكبر والأصغر وإهاب<sup>(١١)</sup> ماعز<sup>(١٢)</sup> وإهاب كبش فيها جميع العلوم حتى أرش الخدش، وحتى الجلدة ونصف الجلدة وثلاث الجلدة، ويكون عنده مصحف فاطمة عليها السلام<sup>(١٣)</sup>.

## وقفه مع نظرية الشورى:

ذهب بعض المسلمين إلى أن تعيين الإمام يتم من خلال الشورى بين المسلمين، وعليه أثبتوا خلافة الأول القائمة على الشورى، وهذا الموضوع هو أساس الخلاف بين الشيعة الذين يقولون بالنص، والسنة الذين يقولون بالشورى.

وعمدة ما استدلوا به على الشورى قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٢٨].

ويلاحظ عليه: أن الآية الأولى ليست بصد القول بأن للشورى حجبة على قول النبي صلى الله عليه وآله وذلك لأنها تقول: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] مما يعني أن القرار النهائي هو لرسول الله صلى الله عليه وآله لا لغيره، وما المشورة إلا لمعرفة آرائهم ونواياهم، أو إشراكهم في تحمل المسؤولية، خصوصاً إذا لاحظنا أن موارد المشورة كانت - في الغالب - في الحرب مع المشركين. وأما الآية الثانية فهي تقييد أن الشورى بين المسلمين تكون في أمورهم الدنيوية، وأما الأمور الدينية - ومنها الخلافة - فهذه ليست من أمورهم وإنما هي تعود إلى الله ورسوله.

يقول السيد محمد باقر الصدر رحمته الله: «إننا لا نحتمل أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله قد اعتمد على مبدأ الشورى في تعيين الخليفة من بعده وذلك لأنه لو كان قد اعتمد عليه لكان عليه أن يوضح هذا المبدأ من ناحية حدوده وشرائطه، وكيفية الحل فيما لو اختلف المتشاورون، وما هي شرائط المشتركين في الشورى. فهذه الأمور وغيرها لم تكن موجودة.

بل إن فكرة الشورى لم تكن موجودة حتى عند أبي بكر وعمر فحينما حضرت الوفاة أبا بكر أوصى بالخلافة إلى عمر ولم يتركها شورى بين المسلمين» انتهى بتصرف<sup>(١٤)</sup>.

فثبت مما تقدم أنه لا دليل على الشورى في تعيين الإمام بل الدليل على عدمها.

(١) أصول الكافي: ج ١، ص ٢٠٠.

(٢) الكافي: ج ١، ص ٢٧٧.

- (٣) العقيدة الإسلامية للسبحاني: ص١٩٨.
- (٤) الكافي: ج١، ص٢٧٧.
- (٥) المصدر نفسه: ص٢٧٨.
- (٦) المصدر نفسه: ص٨٥.
- (٧) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٠.
- (٨) بحار الأنوار: ج١١، ص٣٣٤.
- (٩) الخصال: ص٤٢٨.
- (١٠) في الخصال: ويكون له راحة أطيب.
- (١١) الإهاب . ككتاب .: الجلد.
- (١٢) المعاز: واحد المعز.
- (١٣) القطرة: ج٢، ص٢٤ - ٢٥.
- (١٤) بحث حول الولاية.